روايات عبير الجديدة

بول كيني

مُراهِقات ولكن

WWW.REWITY.COM
مترمورية

www.rewity.com

مراهقات ولكن

عندما قصت دليلة شعر شمشون الجبار، منتزعة بذلك قوته الخارقة، ندمت ندماً عظيماً، لا لأنها خانت عهده فحسب بل لأنه فقد ميزته الخاصة التي تفرقه عن بقية الرجال وأيضاً لأنه بات رجلاً حزيناً...

الا ان تامي دينتون التي اطلق عليها ريك هاتون اسم دليلة بسبب عنادها، لم تكن قادرة على انتزاع نفسها من مزرعته في استراليا واللحاق بخطيبها جوناثان...

وعندما عاد جوناثان يبحث عنها حاولت مرة اخيرة الخروج عن سلطة ريك هاتون... لكن الحب، هذه المرة، كان لها بالمرصاد.

١

كان حوالي العشرين شخصاً متجمعين في الغرفة العارية الجدران وقد توسطها تابوت بسيط احاطت به شمعات قليلة بينما ملأت الجو رائحة بخور خفيفة .

وعندما وصل فرانسيس كوبلان الى هذه الغرفة ، التابعة للمشرحة ، فوجىء بهذا العدد من الحضور ، الذي فاق تقديره . ووقف في زاوية منعزلة واخذ يجيل نظره في الاشخاص القريبين منه وهو يذكر الحوادث الماضية .

لقد كان التابوت يضم جثة هيلدا فيرن . ولا يعني هذا الاسم شيئاً للشخص العادي ، ولكن رئيس فرع التجسس اخبر كوبلان بانها كانت من اقدر الجاسوسات في الحرب العالمية الثانية ، وقد لجأت بعد انهزام المانيا ، الى الارجنتين . ولكنها عادت فجأة الى اوربا . وعندما عُثر عليها قتيلة في سيارتها المقلوبة ، على طريق كوبلانس وجد رجال الشرطة في حقيبتها اوراقاً احالوها الى المكتب الثاني الفرنسي . وكان من بين هذه الاوراق ، برقية مصدرها بلدة « كوبنيك » المتصلة ببرلين الشرقية ، وقد وردت فيها كلمة

واحدة : « تعالي » وكان التوقيع : « لندنبرغ »

ومن هنا بدأت مهمة فرنسيس كوبلان فقد طلب منه الرئيس ان يذهب لحضور جنازتها لعله يقابل اشخاصاً غرباء ، غير اخت القتيلة المقيمة في كوبلانس ، قد يقودونه الى كشف لغز يشغل باله . وهذا اللغز هو اختفاء غونتران احد الجواسيس الفرنسيين في بلدة كوبنيك هذه . وكانت آخر الانبـــاء الواردة منه ، قبل اختفائه تشير الى انه يتردد على حانة « غرونو كيلر ».

وقد ختم الرئيس حديثه قائلاً :

ـ اذا رأيت ان غيابك سيطول اخبرني بذلك . ولا تنس ان مراكب « البورغ » موجودة بصورة مستمرة في « برلين » واذا وجدت نفسك في مأزق فلا تتردد في اللجوء اليها .

وانتبه كوبلان من افكاره الى رجل يتقدم من صحن وضع على طاولة واطئة ، ويرمي فيه بطاقة زيارة . فأخرج بدوره من جيبه بطاقة نسي اسم صاحبها وتقدم من الصحن . وفيما هو يضعها فيه بعثر البطاقات السبع الموجودة فيه ، واخذ يستعرض اسماء اصحابها بسرعة . **وفجأة شعر بقشعريرة تسري في جسمه عندما قرأ البطاقة التالية : « هانز شبالت ـ كوبنيك »**

وابتعد كوبلان عن الطاولة الصغيرة وعاد الى زاويته . وهناك اخذ يتفحص الرجال الحاضرين متسائلاً عمن يكون صاحب هـذه البطاقة . وأثار اهتمامه رجل ضخم الجثة لانعزاله عن الباقين ولكنه لما امعن فيه النظر ادرك انه يشعر بملل مزعج .

وعاد يفكر بالبطاقة فأثار أمران فيها استغرابه ؛ اولاً كيف عُرف في الجهة الاخرى من الستار الحديدي ، ان هيلدا فيرن قتلت في المنطقة الفرنسية بحادث؟ وهل جاء احد خصيصاً ليتأكد من ان هذا صحيح ؟ ثانيـــاً ، لماذا وضعت بطاقة تحمل كلمة « كوبنيك » ؟ هل هي طعم ؟

وشعر كوبلان فجأة بانه ادخل يده في فخ . وراح يتساءل : ترى هل بين الحاضرين من جاء ليقوم بنفس اللعبة التي جاء لاجلها كوبلان ؟

وهنا اقتربت عربة نقل الموتى فاغتنم كوبلان الفرصة وانصرف دون ان يثير الانتباه .

٢

وصل كوبلان الى برلين في اليوم الثاني بالطائرة، وبعد المعاملات الرسمية استقل المترو الى شارع « كوشتراس » المحطة الاخيرة قبل المنطقة الروسية . وهناك حجز غرفة في احد الفنادق لمدة اربع وعشرين ساعة . وما كاد يقفل بابها على نفسه حتى ابدل ثيابه بثياب عتيقة غيرت مظهره تماماً ، ثم خرج قاصداً المنطقة البريطانية . وهناك سار على ضفة النهر الى ان وجد مركباً هولندياً قرأ على مقدمته اسم « البورغ الرابع » .

وصعد كوبلان الى المركب دون تردد ونقر على زجاج نافذة المقصورة . وبعد لحظة خرج القبطان اليه وسأله بالالمانية :

– ماذا تريد ؟

واجابه كوبلان بالهولاندية :

– لدي نبأ لك : لقد ماتت العمة « ارما » .

ولانت ملامح القبطان وقال بصوت هادىء :

– تفضل بالدخول .

ودخل كوبلان المقصورة يتبعه القبطان . ولما اغلق هذا الاخير الباب وراءهما التفت الى كوبلان وسأله بلغة فرنسية صافية :

– بماذا استطيع مساعدتك ؟

وسأله فرنسيس وهو يجلس على الاريكة :

– كم تنوي البقاء في « برلين » ؟

– خمسة او ستة ايام . وسيأتي المركب « البورغ الثاني » ليحل مكاني .

– كيف حال الجو هنا ؟

– ليس احسن ولا اسوأ من الماضي . لقد اسقطت طائرات المطاردة الروسية طائرة غربية في الممر الجوي الشمالي اول امس، وما زال سبل اللاجئين في القطاع الشرقي لا ينقطع ، ولم تقع حوادث عند حدود التقسيم منذ شهر .

– وماذا عن المرور من قطاع الى آخر ؟

– انه يجري ببساطة شديدة حتى انك قد لا تنتبه لذلك . كما ان بعض خطوط المترو تذهب من القطاع الاميركي الى القطاع الفرنسي مارة بالقطاع الروسي . وتروح حافلات الترام وتجيء بحرية تامة دون ان تأبه باللافتات التي تميز بين قطاع وآخر وليس هناك سوى عدد من الشوارع والمناطق العسكرية تسده الحواجز ولكن الحال تختلف عندما يفرض الروس الحصار على احد القطاعات الغربية ، اذ تأخذ الدوريات في التجول في القطاع الشرقي وتتحقق من شخصية المارة وخاصة في الليل . وعندها يرد الحلفاء لهم التحية .

وسأله كوبلان :

– أتستطيع ان تمدني ببطاقة بحّار ؟

– اجل ، ألديك صور ؟

واحنى كوبلان رأسه وهو يخرج عدداً من الصور من جيبه وفيما كان القبطان يعد الاوراق المزيفة سأله كوبلان :

– هل كنت تعرف « غونتران » ؟

ورفع القبطان رأسه بدهشة وقال :

– لماذا تتكلم بصيغة الماضي ؟ هل مات ؟

– لا اعرف . لقد اختفى .

– رأيته آخر مرة في نهاية كانون الثاني ، عندما جاء يطلب مبلغاً من الماركات الشرقية .

– ما الذي كان يرتديه ؟

– معطفا رمادياً قديما على كمه الايسر بقعة زيت كبيرة ، ووشاحاً بنياً وقبعة رمادية رخوة .

وصمت كوبلان بضع دقائق ثم قال :

– هل استطيع الاقامة في المركب ؟

– اجل ، ولكن شرط ان تأتي وتذهب في غير اوقات العمل . ان تفريغ المركب يجري بين الثامنة صباحا والخامسة مساء .

وفي المساء ذاته وصل كوبلان الى « كوبنيك » في احد القطارات . وتذكر مخطط البلدة الذي اطلعه رئيسه عليه ، وسار على هداه حتى وصل الى حانة « غرونو كيلر » .

كان جو الحانة عابقاً بالدخان وقد اخذ بعض الحضور يرقصون على انغام موسيقى صاخبة بينما انتشر بعض الجنود الروس هنا وهناك .

اخذ كوبلان يرتشف كأس الجعة ، التي احضرها له الخادم ، وهو يتساءل عما كان يفعله غونتران في هذا المكان ..

وبعد نصف ساعة من جلوسه هناك قرر ان ينصرف ، وما كاد يرفع يده لينادي الخادم حتى اعادها الى مكانها بسرعة . فقد فتح باب المشروب وخرج منه رجل ضخم الجثة وجلس على المقعد العالي الموجود وراء مضخة الجعة . ولم يكن كوبلان بحاجة لامعان النظر فيه ليدرك انه الرجل الذي كان حاضراً في جنازة هيلدا فيرن .

وغاص فرنسيس في زاويته وطلب كأس جعة اخرى . وهنا انتهت الاسطوانة فعاد الراقصون الى امكنتهم وتقدمت فتاة شقراء ، كانت تراقص روسياً ، من المشرب وهتفت بالرجل الضخم :

– مساء الخير يا هانز ! هل عدت بهذه السرعة ؟

واجاب الرجل وهو يمد اليها يده مصافحاً :

– اجل ، كيف حالك يا « برتا » ؟

هانز ! وتذكر كوبلان بطاقة التعزية .

لقد بدأ يشم رائحة المغامرة ..

٣

وجد كوبلان نفسه امام احتمالين .

اما ان هانز سيتذكر انه رآه في مناسبة اخرى ، او أنه لن يجري اي اتصال بين ذلك الرجل الانيق وهذا البحّار الخشن اما اذا كان لديه بعد بعض الشك فعلى كوبلان ان يزيله فوراً وهكذا ، ما كادت الاسطوانة الجديدة تبدأ حتى نهض وتقدم من « برتا » يدعوها الى الرقص وقد شد عضلاته ونفخ صدره .

وترددت الفتاة قليلًا ، ولكن كتفي البحار العريضتين اثرتا فيها فاستسلمت الى ذراعيه . ولم يعر هانز البحّار اي انتباه لأن بحارة كثيرين يترددون على الحانة اذ انها الوحيدة في تلك المنطقة بالاضافة الى ان « كوبنيك » تكاد تكون محاطة .

وفيما كان كوبلان يرقص ، كان عقله يعمل بسرعة . ان برتا لم تدهش لغياب هانز بل بدا عليها أنها تعرف انه كان في الجهة الثانية من الستار الحديدي ، ولهذا كان عليه ان يوطد علاقته بها .

وضم كوبلان الفتاة الى صدره بقوة وهمس في اذنها :

– انك خفيفة الحركة .

ورفعت برتا رأسها ونظرت اليه وقد أثّر الاطراء فيها وسألته :

– هل انت روسي ؟

– كلا . انني هولندي .

وكان جواب برتا ضغطة على عضلات ذراع البحّار ، وبعد قليل سألته :

– هل ستبقى طويلًا في برلين ؟

– خمسة او ستة ايام او اكثر . ألا تريدين الجلوس الى مائدتي ؟

والقت برتا نظرة على ساعة الحائط واجابت :

– ان الوقت متأخر . علي ان انصرف الآن .

– بهذه السرعة !

يجب ان اعود الى المنزل قبل منتصف الليل . ويبعد مسكني نصف ساعة عن هنا .

– سأرافقك .

ودس يده تحت ابطها ولمس جانب نهد حار . ورغم ان هذه اللمسة اثرت في اعصاب الفتاة الا انها اجابت معتذرة :

– لا ليس الليلة . غدا ، اذا شئت .

– ولكنني لست واثقا باني سأراك غدا .

وابتسمت برتا واجابت :

– انني اعدك بالمجيء .

وانتهت الاسطوانة فانسلت الفتاة من بين ذراعيه واتجهت

وقفز كوبلان وقد تصلب وجهـــه . وثنى الالماني ساقيه ليركله في معدته ولكن فرنسيس تجنب ركلته وامسك بساقيه واداره ثم ضربه بحد كفه على عنقه . فترنـــح الالماني وسقط دون حراك .

واراد كوبلان ان يتقن دور البحار ، الذي يقوم به ، فبصق بجانب خصمه ورفع سرواله بمرفقيه واتجه الى المشرب . وهناك طلب كأس جعة وهو يحدق في عيني صاحب الحانة . ولكن هذا الاخير قدم الكأس اليه دون ان تطرف عيناه . وتناول كوبلان جرعة طويلة من الشراب المنعش وسأل هانز :

ـ أتعرف هذا المخلوق ؟

واجاب هانز :

ـ انه زبون دائم . انه سيء الاطباع ومن المحاربين القدماء .

ـ وبرتا ؟ هل تأتي غالباً الى هنا ؟

ـ ت او اربع مرات في الاسبوع ، انها تحب ان تلهو .

ـ د دائما مبكرة هكذا ؟

ـ دائما . انها تعمل طاهية .

طاهية ! واحس بالامل الذي اعتراه عند رؤيته هانز يزول بالتدريج . وتذكر ان عليه ان يعـود الى « البورغ الرابع » وانه نسي ان يسأل القبطان عن موعد آخر قطار يعيده الى برلين .

وسمع صوت هانز يسأله :

ـ اين مركبك ؟

ـ في « شارلوتنبورغ »

الى المشرب . وعاد كوبلان الى مائدته فنادى الخادم دون ان يحول نظره عن برتا . ورآها تأخذ معطفها وتتبادل بعض الكلمات مع هانز ثم تتجه الى سلم الخروج .

ودفع كوبلان ثمن الشراب بسرعة ولحق بهـــا . واحست الفتاة به فالتفت اليه وقالت بلطف :

ـ لا ، ليس الليلة .

ولكن كوبلان لم يصغ اليها ، بل امسك بذراعها ومد يده الاخرى ليفتح الباب وفجأة احس بيد قوية تمسك بذراعـه بينما ارتفع صوت حانق يقول :

ـ لحظة من فضلك .

واستدار كوبلان فوجد نفسه وجهاً لوجه امام رجل المانى طويل القامة يحدق به بتحد . ونفض كوبلان اليد عن ذراعه بقوة وقال :

ـ لمـــاذا ؟

فأجابه الالماني :

ـ ان السيدة مستعجلة ، وانك تخطىء بتأخيرها .

وهنا سمع فرنسيس صوت الباب يغلق فاستدار ليلحق ببرتا ولكن الالماني تعلق بقميصه . ولم يعـد كوبلان يحتمل فالتفت وارسل قبضته الى فك ذلك الدخيل .

وافلته الالماني وتعثر وهو يتراجع ثم اصطدم بمائدة حالت دون سقوطه . وبقي جامداً مكانـــه بضع لحظات وهو يحدج كوبلان بنظرات الحقد ، وفجأة اختطف كأساً من على المائدة وقذفه بها . واصابت الكأس كوبلان في صدره وتحطمت على الارض .

– ان المكان بعيد . احذر ان يفوتك القطار .

– لهذا سأنصرف الآن الى الغد ...

وصافح كوبلان صاحب الحانة الذي غمزه بعينه مشيراً الى انه يدرك سبب عودته في الغد . ومر ، وهو يتجه الى الباب ، بالالماني الذي كان يرتدي معطفه ويلف وشاحه .

٤

كان الظلام يسود الشارع . وبدلا من ان يسرع كوبلان الى المحطة ، كما كان ينوي – ان يفعل – قبل دقيقتين ، ابتعد عن الحانة حوالي العشرين مترا واختبأ في مدخل احدى البنايات المتهدمة . وبعد لحظات خرج الالماني واتجه الى الجسر بعد ان رفع ياقة معطفه واحنى قبعته .

وتركه كوبلان يسبقه بخمسين مترا ثم تبعه وهو يهتدي الى مكانه بوقع اقدامه .

اجتاز الالماني عدداً من الشوارع قبل ان يصل الى المحطة . وهناك عبر الخطوط الحديدية وتابع طريقه . ولعن كوبلان غريمه الذي راح يجتذبه الى الريف . ولكن الالماني توقف ، بعد قليل امام منزل متواضع مؤلف من طابقين وفتح باب الطابق الارضي واطفأ النور . وعندما استدار ليغلق الباب قفز فزعا فقد وجد امامه الرجل الذي تعارك واياه منذ نصف ساعة .

وقال كوبلان :

– مساء الخير !

www.rewity.com

واغلق الباب وراءه . وبحركة سريعة مد الالماني يده الى جيبه ولكن كوبلان كان أسرع منه فركله بقوة في ساعده . وزاد الألم في ثورة الالماني فاحنى رأسه واندفع نحو كوبلان . وتلقى هذا الاخير الصدمة في امعائه فاحس بانفاسه تختنق في صدره وتراجع .

ونهض الالماني وهو يتوقع ان يقع خصمه . ولما رآه ما زال منتصبا يحاول التنفس بصعوبة وجّه الى ساقيه ركلة عنيفة . ولكن مغامرنا الجريء تجنبها فارتفعت ساق الالماني في الهواء وتبعتها الساق الاخرى ، بقوة الاندفاع ، وسقط جسمه كتلة واحدة على الارض من ارتفاع اكثر من متر . والقى كوبلان بنفسه عليه وسدد سلسلة من اللكمات اليمنى واليسرى الى وجهه . ثم نهض ووجه لكمة قوية الى صدره .

ولم يفقد الالماني رشده ولكنه بقي مشلول الحركة ، واغتنم كوبلان الفرصة فجرده من مسدسه ، الذي ركب به جهاز كتم الصوت ، ثم احتل احد المقاعد وقال له :

– لنتحدث الآن ...

وقبل ان يجيب الالماني امسكه كوبلان من ياقته وتحقق من امره ثم اجلسه مسنداً ظهره الى صندوق خشبي ، وقال :

– اصغ اليّ . انني اعرف ان الاوقات عصيبة وان اقتناء الثياب ليس سهلاً . وليس خطيراً ان يسرق المرء ثياب شخص آخر . ولكن هذا المعطف واسع بالنسبة لجسمك . وهذا يدل على انك لم تشتره لا هو ولا الوشاح ...

وصمت لحظة ثم صاح بغضب :

– اين غونتران ايـــا النذل ؟ لا تتصور انك ستستطيع الاحتفاظ بالصمت . لو كنت قد سرقت هذا المعطف لكنت نزعت شارة صانعها . وما دمت لم تنزعها فلأنك كنت مطمئنا ، ومصدر اطمئنانك – ولا شك – انك تعرف ما حل بصاحبها الشرعي . والآن تكلم .

واجاب الالماني بصوت خافت :

– لقد اعطاني شخص هذه الثياب .

– لست اشك بذلك ، ولا بـــد ان يكون المحسن الكريم شخص لم تره في حياتك ؟

ولم يجب الالماني ، بينما اضاف كوبلان :

– اصغ اليّ جيداً . لن ادعك حياً مهما حصل .. لأن علي ان اضمن سلامتي ، وهذا قانون مهنتنا ، كما تعلم . ولكنك تستطيع ان تجعل لحظاتك الاخيرة لطيفة . اذا تكلمت قتلتك برصاصة في رأسك . اما اذا اظهرت العناد فسأعذبك طوال الليل قبل ان اقتلك . والآن ما اسمك ؟

– شينكل .

– هل برتا صديقة لك ؟

وهز الالماني رأسه نفيا ولكنه احتفظ بالصمت وهو يحدق بكوبلان بحقد .

واخيراً وجد كوبلان نفسه مضطرا للجوء الى العنف فانتزع الوشاح وكمم فم شينكل . ثم امسك بيده اليسرى كف الالماني واخذ يلوي ابهامه الى الداخل بقوة .

وتململ شينكل وحاول النهوض ولكن كوبلان ضغط بركبته على صدره واجبره على الهدوء . واخذ العرق يتصبب من وجه الالماني بينما استمر كوبلان في الضغط على ابهامه . واخيراً سمعت « طقة » وانتفض جسم الاسير بقوة وارتفع صياحه ولكن الوشاح كتمه .

وقال له كوبلان :

ـ انتظر ، فلم تنته العملية . انك لم تكن تستعجل الكلام ولذا فانك تستطيع ان تصبر دقيقتين .

وامسك بسبابة الالماني وكسرها عند العقدة الاولى . ثم التفت اليه قائلاً :

ـ هذه مقدمة فقط . ويديك من الاصابع ما يكفي لاطالة العملية . واذا اغمي عليك ساعالجك بحنان ثم نستأنف العمل . أفهمت ؟

وتركه لحظة حتى يدرك تماما معنى كلامه ثم حل الوشاح من على فم الالماني وأجلسه ثم سأله :

ـ ماذا حل بغونتران ؟ اهو ميت ام اسير ؟

ـ اسير .

ـ اين ؟

ـ لدى الروس .

ـ قلت اين ؟

ـ لا اعرف ... الآن ، قبل ثلاثة اسابيع كان هنا في قصر فوجلسفالد .

ولاحظ كوبلان أن الالماني اخذ يفقد وعيه فبلل منديله ومسح به وجهه .

وبعد ان تركه يرتاح قليلا عاد الى استجوابه فسأله :

ـ هل تعمل بالاشتراك مع هانز ؟

ولكن الالماني لم يجب بل اغمض عينيه وزم شفتيه .

ومد كوبلان يده الى الوشاح واقترب منه . وازداد امتقاع شينكل واتسعت عيناه وهتف وهو يلهث :

ـ لا ... لا ... ان هانز يعمل جاسوساً للروس .

ـ مثلك انت . ولكن ما الذي يحدث في كوبنيك حتى حشد الروس كل هذا العدد من العملاء ؟

ولكن شينكل لزم الصمت . وعبثاً لوّح كوبلان بالوشاح اذ ان الالماني بدا مستعداً لتحمل جميع انواع العذاب ، دون أن يبوح بسره .

وادرك كوبلان عقم محاولته فاطفأ لفافته وادار ظهر ليعد المسدس .

وعندما اقترب من شينكل استطاع هذا ان يرسم على شفتيه ابتسامة وقال :

ـ لن تفلت منا . سوف يأتي دورك . اذكر ما اقوله لك .

واجاب كوبلان :

ـ ربما ... ولكنك تعلم ان هذه هي قاعدة مهمتنا . ليلتك سعيدة .

وانطلق المسدس مرتين . ومال رأس شينكل وجر جسمه معه .

ولما كانت القطارات لا تسير بعد منتصف الليل فقد اضطر كوبلان لقضاء الليل مع جثة الالماني .

٥

غادر كوبلان منزل شينكل المتهدم قبل الفجر بقليل . وذهب فوراً الى « البورغ الرابع » حيث حصل من القبطان على عنوان نزل يقيم فيه . وبعد ان قضى النهار نائماً عاد في المساء الى حانة « غرونو كيلر » .

وبعد ان حيّا هانز بحركة من يده اجال نظره في القاعة بحثاً عن برتا . ولكنها لم تكن قد جاءت بعد .

ووجد كوبلان ضروريا ان يقوم بدور البحار حتى النهاية ، فدعا احدى الفتيات الى الرقص .

ولكنه لم يكد يسير بضع خطوات معها حتى لمح برتا تدخل وتتجه الى هانز لمصافحته . ثم جالت بنظرها في القاعة وسرعان ما لمحت عاشقها . وارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة وجلست الى احدى الموائد .

وكأنما احست مُراقِصة كوبلان بتحول انتباهه عنها الى برتا فتركته في وسط الحلبة وانسحبت غاضبة .

www.rewity.com

وتقدم كوبلان من برتا وجلس الى جانبها . وقبل ان يقول لها شيئاً سألته بلهفة :

– ألم يسبب لك شينكل متاعب ؟

وهز كوبلان كتفيه متظاهراً بعدم الاكتراث وقال :

– لقد تشاجرنا قليلاً ولكنني ادبته .

ولم يترك لها مجالاً لمتابعة الحديث في الموضوع ذاته وسألها :

– هل ارافقك الليلة ؟

واخذت برتا تضحك بارتباك . ان هذا البحار لا يضيع الوقت واجابته :

– اجل ، ولكن لنرقص اولاً

وبعد نصف ساعة غادر الاثنان الحانة . وفيما كان خارجين تبادل كوبلان وهانز نظرة ذات معنى . وشعر كوبلان بان الالماني من الذين يقدرون ضعف الانسان امام الرغبات الملحة . ولكنه رغم ذلك كان يشعر بنفور منه .

سار كوبلان الى جانب رفيقته وقد ترك لها اختيار المكان الذي سيقضيان الليلة فيه معاً . وكانت هذه تتجه نحو الغابة .

وفيما هما سائران سألته فجأة :

– ما اسمك ؟

– فرانز .. فرانز هايدينا .

قال هذا واحاط بخصر الفتاة وقبلها قبلة دافئة . وتخلصت برتا من ذراعيه بتراخ وقالت وهي تلهث :

– انتظر . بعد قليل نصل الى المكان الذي اقصده .

واستأنفا السير . وقطع كوبلان حبل الصمت وسألها :

– انك تبدين على علاقات طيبة مع هانز . فقد لاحظت امس انك تحيينه بسرور كبير .

ونظرت اليه برتا بعينين باسمتين واخذت تضحك . فقد شعرت بان بحارها الجميل يعاني الغيرة .

وكانا قد وصلا الى بقعة تغطيها الاعشاب الطرية فوقفت برتا والتصقت بصدر كوبلان وهي تقول :

– ان علاقتنا الطيبة راجعة الى انه يقدم اللوازم حيث اعمل .

– ما هو عملك ؟

– انني طاهية .

وفجأة خطرت لفرانسيس فكرة فسألها مستغربا :

– اما زال في المانيا الشرقية اناس يستطيعون استخدام طاهية ؟

وشدت برتا قامتها وقالت بفخر :

– ولكنني لا اعمل لدى احدى العائلات . انني اعمل في قصر فوجلسفالد .

واندفعت الدماء في عروق كوبلان . ان هذه الصغيرة ثمينة . وشعر بان اهتمامه بها يزداد اضعاف ما كان عليه فضمها اليه بقوة وغرق معها في قبلة وحشية .

٦

تمطت برتا وسألت وهي بعد في شبه غيبوبة :

ـ كم الساعة الآن ؟

ـ الحادية عشرة والنصف .

ـ يجب ان نذهب يا حبيبي .

ونهضا بتثاقل وسارا في اتجاه الضفة . وبعد دقائق وصلا الى البحيرة .

ومضيا في طريق تمر في قلب الغابة وتبتعد عن البحيرة . وبعد حوالي عشر دقائق وقفت برتا وقالت لكوبلان :

ـ يجب ان نفترق هنا .

ـ هنا ! في وسط الغابة ؟

ـ انني على بعد مائة متر من القصر . ويحسن بك الا ترافقني حتى الباب .

ـ ولكن لماذا ؟ لن يرانا احد فالظلام حالك .

وهزت برتا رأسها بحزم وقالت :

ـ لا يمكنك ان تذهب الى هناك فهذا خطر .

وحاول كوبلان ان يخرج فقال :

ـ خطر ؟ هل تنتظرني أفعى على الباب ؟

ـ بل سيفوتك آخر قطار .

ـ استطيع ان اركض لالحق به .

ـ لا !

وكان رفضها هذه المرة قوياً .

وتظاهر فرانسيس بالامتعاض وقال وهو يستدير لينصرف :

ـ حسناً . اذا كنت ازعجك فيجدر بنا الا نتقابل بعد الآن .

ولكنها اسرعت اليه وتعلقت بعنقه وقالت بتوسل :

ـ انني اطلب هذا لاجل طمأنينتنا يا حبيبي . ان امام باب القصر حرساً مسلحاً . واذا رأوك سيطلبون اوراقك ويحققون معك ولن يعود بامكانك الوصول الى المحطة قبل نصف الليل .

وهدأت ثائرة كوبلان فقبلها ثم سألها دون اكتراث :

ـ هل قلت ان امام القصر حرساً ؟ ولكن ما الذي يحرسونه؟

واجابته برتا بدهشة :

ـ الم تكن تعرف؟ان قصر فوجلسفالده معهد داخلي للفتيات»!

وقبل ان يفيق من دهشته كانت قد طبعت قبلة على خده وهربت .

وبقي كوبلان جامداً مكانه تنتابه حيرة شديدة . فهذه اول مرة يسمع فيها ان زميلاً له سجن في معهد داخلي للفتيات !

لا شك بان الرئيس سيضحك كثيراً عندما يعلم بذلك .

وانتبه على صوت مـ رة واحدة وكان واضحاً

انه جرس باب القصر . ومعنى هذا ان الباب مقفل ، رغم وجود الحرس خارج القصر .

وشعر كوبلان بدافع قوي يدفعه الى محاولة دخول القصر ليتابع بحثه متستراً بالظلام . ولكن الحكمة التي تسود جميع اعماله اوقفته . فهو غير مجهز بالمعدات اللازمة لمثل هذه العملية خاصة وان القصر محاط بحراسة قوية .

ونظر كوبلان الى ساعته فوجد ان لديه عشر دقائق للحاق باخر قطار . فاخذ نفسا طويلاً ثم انطلق يجري بكل قواه .

٧

يشغل مكتب فراو لندنبرغ غرفة كانت ، ولا شك ، قاعة استقبال في الماضي . واذا كان حجم الغرفة لا يزال على حاله فإن الاثاث كان قد تبدل واصبح من احدث طراز .

ووراء المكتب العريض كانت لندبرغ جالسة تراجع اوراقاً امامهـا .

لم تكن جميلة وليس لديها ما يجذب الرجل ، بل على العكس ان الانسان ليشعر بنفور منها لا يدري سببه . ومع ذلك فقد كانت لها شخصية قوية وان كل من يقترب منها يشعر بتسلطها وقدرتها .

ورن جرس الهاتف فرفعت السماعة وقالت :

- لندنبرغ .

واستمعت الى صوت رجل يتحدث بانفعال . ورغم ان النبأ الذي ابلغها اياه فاجأها الا انها لم تظهر شيئاً من ذلك .

واعادت السماعة الى مكانها وبقيت لحظة شاردة ثم ضغطت زراً في جهاز الهاتف الداخلي وقالت بصوت آمر :

- ارسلي برتا الى مكتبي .

وبعد لحظات كانت هذه الاخيرة تدخل مكتب المديرة وقد بدا الاضطراب عليها .

وتركتها لندنبرغ في اضطرابها لحظات دون ان تنظر اليها ثم رفعت رأسها وسألتها :

– متى رأيت هيلموت شينكل آخر مرة ؟

وبلعت برتا ريقها وقالت :

– مساء اول امس ، ياسيدتي . في حانة غرونو كيلر .

– هل غادرت الحانة قبله ام بعده ؟

– قبله .

– هل لاحظت بين الزبائن اشخاصاً لا يذهبون عادة الى هناك ؟

– نعم يا سيدتي .

– أتستطيعين ان تصفيهم ؟

واحنت رأسها ايجابا ثم اخذت تصف روسيين اثنين والمانيين كانا هناك ايضا بالاضافة الى فتاة حانة جديدة واخيراً بحاراً هولندياً .

وعندما انتهت سألتها لندنبرغ :

– الم تكوني سبب شجار بين شينكل والبحار ؟

وازداد اضطراب برتا . ولكن خوفها كان اكبر من ان يسمح لها بالكذب فاجابت :

– نعم ياسيدتي .

– كيف وقع الحادث ؟

فسردت لها الحوادث بالتفصيل ثم سألتها المديرة :

– ألم تقابليه ثانية ؟

– بلى ، مساء امس .

– ألم يلق عليك اي سؤال يتعلق بالمعهد ؟

– لا يا سيدتي المديرة .

وكانت في صوتها رنة سرور لا ستطاعتها الاجابة اخيرا بالنفي ولم تكد تسمع مديرتها تأمرهـــا بالانصراف حتى اسرعت بمغادرة الغرفة .

وبعد ان اغلق الباب وراء الطاهيـــة رفعت لندنبرغ سماعة الهاتف وادارت رقم حانة غرونو كيلر . ورد هانز عليها فسألته :

– هانز ، هل انصرف البحار الهولندي ، الذي كان في حانتك أول امس ، قبل شينكل ام بعده ؟

– قبله ، ولكن بلحظات قليلة اذ انه كان يريد اللحاق بالقطار .

– أتعرف اسم المركب الذي ينتمي اليه ؟

– لا ، فكل ما اعرفه انه راسٍ في شارلتونبرغ .

– شكراً يا هانز ، اذا عاد راقبه جيداً . .

– ما الذي حدث ؟

– لقد اكتشفت جثة شينكل اليوم مقتولاً برصاص مسدسه الشخصي .

وانقطعت المخابرة بعد ان اطلق هانز صفيراً طويلاً .

واعادت لندنبرغ السماعة الى مكانها وادارت مقعدها قليلاً ففتحت درجا واخرجت منه ملفاً .

وعادت الى وضعها الطبيعي واخرجت الملف واخذت تقلب

اوراقه . واخيراً وجدت الورقة التي تبحث عنها ثم كتبت امام احد السطور المطبوعة كلمة : توفي . ووضعت الى جانبها تاريخ مقتل شينكل .

واعادت الملف الى مكانه وغرقت في تفكير عميق .

وبعد ربع ساعة توصلت الى قرار ففتلت احد ازرار الهاتف الداخلي واصدرت امراً .

٨

بعد ظهر اليوم ذاته ، اشترى كوبلان خريطة مفصلة للمنطقة ولما كانت هذه الخريطة موضوعة قبل الحرب فقد تضمنت قصر فوجلسفالد وضواحيه ، اذ انه كان بعد ملكا خاصاً .

وبعد ان درس المنطقة تماما جمع المعدات ، التي سيحتاج اليها في محاولته اقتحام القصر ، في كيس لا تتسرب المياه اليه .

وفي الساعة السابعة مساء ذهب الى المركب « البورغ الرابع » وقابل القبطان ، ولم يروِ له ما حدث بل اكتفى بان طلب منه سلاحه .

وقدم له القبطان مسدساً صغيراً لا يعيق حامله .

وبعد ان اوصاه كوبلان بعدم ابلاغ باريس ، في حالة اختفائه قبل مرور اسبوع غادر المركب وانطلق في اتجاه كوبنيك .

وبعد ساعة كان هناك . وعند خروجه من المحطة اتجه صوب الغابة التي تضم القصر . ووصل الى البحيرة فقاس طولها ، ولمح في الضفة الثانية ، سبح قصر فوجلسفالد قائما كالقلعة .

وظل واقفا يفكر برهة ثم عاد ادراجه واتجه صوب حانة

www.rewity.com

غرونو كيلر ، بعد ان خبأ الكيس الذي يحمـــله ، في احدى الحرائب القريبة .

وما كاد كوبلان يدخل الحانة حتى شعر بان هناك شيئاً قد تغير . ومع ذلك فما زالت الموسيقى تملأ الجو وقد جلس بعض الجنود الروس يحتسون الفودكا بينما راحت الفتيـات يتنقلن بين الموائد باحثات عن صيد .

واقترب فرانسيس من هانز وصافحه . واستقبله هذا الاخير هاتفاً :

– هل سمعت بالنبأ ؟

– لا . هل يخلي الروس برلين !

وتلفت هانز حوله بقلق خوفـاً من نتائج هذه العبارة ثم قال بصوت خافت :

– لقد قتل شينكل .

وسأله كوبلان دون ان تتحرك عضلة واحدة في وجهه :

– شينكل ؟ من هو ؟

– الا تعرفه ؟ انه الرجل الذي تشاجرت معه تلك الليلة .

– لا !

وبدت الدهشة على وجه كوبلان . وعاد يسأل :

– متى ؟

واجاب هانز بهمس :

– في الليلة ذاتها . ولا تستغرب اذا حققت الشرطـة معك .

– تحقق معي ؟ ولكنني لم اره قبل ذلك .

وبعد ان أجال نظره في القاعة التفت الى هانز وسأله :

– ألم تأت برتا بعد ؟

– بلى ، لابد انها في المغاسل .

وشكره كوبلان وذهب يجلس الى احدى الموائد وطلب كأس فودكا .

واخذ يحتسي الشراب الروسي وهو يراقب مَن في الحانـة . وفيما هو كذلك مرت امامه امرأة جذبت نظراته .

كانت شقراء عريضة الفم ذات عينين يشع منهما بريق غريب . ولم تكن ثيابها ثمينة . ولكن « السترة » الحضراء كانت تبرز استدارة نهديها بينما برزت من تحت تنورتها القصيرة ، ساقان متناسقتان تناسقاً بديعاً .

وانتبه كوبلان ، من تأملاته ، الى برتا تجلس الى جانبه .

لم تكن هذه الاخيرة مرحة كالعادة وكان القلق باديا عليهـــا بوضوح . وفعلا مالت على اذنه وقالت له :

– يحسن بك ان ترحل . فقـــد قتل شينكل واستجوبتني المديرة بشأنك .

– مديرتك ؟ وما دخلها ؟

– بسبب المشاجرة وعلاقتها بي .

– وكيف عرفت اني تشاجرت معه . وهل اخبرتها ؟

– اجل ، ولكنها كانت عارفة بالامر ، وكل مـا طلبته مني هو بعض الايضاحات .

واخذ كوبلان يجمع المعلومات التي اطلع عليها وينسقها. لقد

عرفت مديرة المعهد بالحادث من هانز . ثم استجوبت احدى الموظفات في قضية لا دخل لها بهـا ظاهريا . اذن ، فهي تقوم بتحقيقاتها الخاصة ، بعيدة عن الشرطة .

واتضح له سبب سفر هانز لحضور جنازة هيلدا فيرن ، خصوصاً اذا كان قد تلقى امراً بذلك من امرأة لها مركز كبير ، وربما كانت هي التي استدعت هيلدا الى المانيا .

واراد كوبلان ان يتحقق من استنتاجه فسأل برتا :

ـ أتعرفين لندنبرغ ؟

وفوجئت الفتاة وابتعدت بمقعدها عن فرنسيس ونظرت اليه بعجب وقالت :

ـ طبعا ، فهي مديرتي !

ولم يترك لها كوبلان مجالاً للاستفسار عن معرفتـه باسم المديرة فسألها :

ـ كم شخصاً يتناولون الطعام الذي تعدونه ؟

ـ ١٨٠ شخصاً .

وفيما كان يفكر في هذا الرقم قالت له برتا :

ـ هيا بنا . افضل ان ننصرف .

وكاد يقبل . ولكنه لمح نظرة القتها عليه تلك الفتاة الشقراء من بين اجفانها نصف المغمضة . وهبطت نظرة كوبلان قليلاً فرأى ركبتين مستديرتين لم تستطع التنورة أن تغطيها .

وغير رأيه . فالمنطق يقتضي الا يقاوم بحار سحر امرأة بهذه

الفتنة . « ولهذا السبب وضعت هذه الشقراء في طريقه ! »

وعادت برتا تدعوه للانصراف ولكنه اختلق لها عذراً واقنعها بالانصراف وحدها بعد ان وعدها بمقابلتها في الغد .

وقدمت برتا له خدها فطبع عليه قبلة وتركها تنصرف .

www.rewity.com مـرمـوريـة

٩

دعا احد الجنود الروس الشقراء الى الرقص فقبلت دعوته . ولكنها عند مرورها قرب كوبلان وجهت اليه غمزة خفية كأنها تستشهده على ما تتحمله في سبيل مهنتها .

وفيما هي ترقص كانت تحاول باستمرار وضع الجندي الروسي، الذي اخذ بالتمادي في مداعباته ،عند حده وابعاد يديه عن المناطق الحساسة من جسمها .

وكان كوبلان ينظر اليهما بمرح ، فقد كان واثقاً بانها لن تقبل بمرافقة احد ابداً ما دامت لم تأت الى الحانة الا لأجله وحده . ثم انها كانت نوعـــاً من الضمانة له اذ ، بسببها ، لن تضايقه الشرطة هذه الليلة .

وانتهت الاسطوانة ووضع هانز غيرها . وعاد الروسي يدعو الشقراء لتناول كأس على مائدته ولكنها رفضت .

واحس كوبلان بان المعركة اوشكت ان تبدأ . فقد كانت قضية شينكل مرحلة ثانوية، كما كانت علاقته ببرتا وسيلة غير خطرة اما الآن . . .

وعادت الموسيقى تنبعث من مكبر الصوت ، فنهض كوبلان واتجه الى الشقراء . وكانت هذه الاخيرة تنتظره وكادت تتقدم منه قبل ان يصل اليها .

واحاط فرنسيس خصر الفتاة بذراعه وضمها اليه وراح يرقص.

وبعد ان سارا بضع خطوات سألته :

— لماذا لم ترافق صديقتك ؟

كان مفروضاً انها لا تعرف ان برتا صديقته ،فهي لم تراهما معا الا مدة خمس دقائق . على كل ، يمكن ان يعزى هذا الى انه نوع من الخطط النسائية .

— كانت مستعجلة . ثم اني رأيتك . . .

وعاد الصمت يسود بينهما .

وبعد بضع خطوات اخرى همست :

— ما اسمك ؟

انها تعرفه ولكنها تريد التحقق دون شك.

— فرانز . وانت ؟

— فريدا . انك تحسن الرقص وتجيد التكلم بالالمانية بالنسبة لأجنبي

— ليس هذا صعباً ، فلغتي الاصلية هي الهولندية.

— هل انت هولندي ؟ ولكن . . . ألست الرجـــل الذي يتحدثون عنه هنا منذ يومين ؟ اعني الرجل الذي تشاجر مع الماني؟

— كنت اجهل ان لي هذه الشهرة .

— هل سمعت بانه قتل ؟

— ان من يكون مثله له اعداء كثيرون . وقد خطر لي ان

اضاعف العلقة التي اذقته اياها ولكن كان علي ان اسرع بالعودة الى شارلوتنبرغ حيث يرسو مركبي .

– ما هو مركبك ؟

وتجنب كوبلان الاجابة مباشرة على سؤالها فقال :

– انه مركب ذو محرك اضافي زنته ٢٥٠٠ طن .

وتوقف الحديث بانتهاء الاسطوانة . ورافق كوبلان الشقراء الى مكانها وعاد الى مائدته دون ان يدعوها اليها .

وعندما بدأت الاسطوانة التالية لم يدع فريدا الى الرقص بل دعا فتاة اخرى .

ولكن الشقراء لم تتمالك ، عندما دعاها في الرقصة الثالثة ، الا ان تسأله بلهجة حانقة :

– أتعجبك هذه الفتاة ؟

واجاب كوبلان بجد :

– انها تجيد مهنتها .

وكأنما ارادت فريدا ان تثبت له انها تجيد ، هي الاخرى ، مهنتها فالتصقت به وراحت تتلوى مع انغام الموسيقى . وبعد لحظات شعر كوبلان بالندم لانه تحداها واخذ يحاول ابعاد جسمه عن هذا الاتون الملتهب الذي يلتصق به .

وتنهدت فريدا وقالت :

– انني اتساءل اين سأقضي الليل . فقد طردوني من غرفتي .

– الا تقيمين في كوبنيك ؟

– لا ، بل في فريدريكهاغن .

وكانت هذه ضاحية تقع شرقي كوبنيك . وقد رآها كوبلان على الخريطة .

واغتنم فرنسيس الفرصة ليخلق لنفسه دليل نفي فقال :

– انعملي لا يبدأ قبل السادسة صباحاً . ولكنني اعرف فندقاً قريباً من المرفأ . وسيحل هذا مشكلتك الليلة .

– أيقع هذا الفندق في الغرب ؟

– اجل في شارلوتنبرغ .

وعندما انتهت الاسطوانة حمل كوبلان سترته وغادر الحانة مع فريدا ، بعد ان وجّه الى هانز غمزة كبيرة بعينه ليفهمه أنه يرافق غنيمة جديدة .

وتلقفهما الليل فسارا متلاصقين .

عندما اصبح الاثنان على بعد ٥١ متراً من « الالبورغ الرابع » قال كوبلان للالمانية الشقراء :

– أتسمحين بلحظة ؟ سأذهب لابلاغ رئيسي أني لن أمضي الليل في المركب .

– أجل سأنتظرك هنا .

وتقدم كوبلان من المركب وأخذ ينادي القبطان .

وبعد لحظة خرج هذا الاخير وجرى حديث سريع بين الاثنين .

واقتربت فريدا بهدوء من الماء وحاولت قراءة اسم المركب ولكنها كانت تضيع وقتها اذ ان الاسم يكتب في مؤخرة معظم

المراكب .

وعاد كوبلان فامسك بذراعها واقتادها في الطريق التي جاء منهـــا .

كان يستعد لقضاء ليلة بديعة ، لعلها آخر لياليه الهادئة ...

١٠

في غرفة واسعة فاخرة الرياش ، كانت امرأة مستلقية على أريكة عريضة ، وكان ثوب السهرة الضيق الذي ترتديه يبرز كل ما فيها من اغراء .

وحل الرجل ، الجالس بجانبها ، ازرار ياقة سترته ، التي تدل على انه من ضباط سلاح الطيران الاميركي ، وضم الحسناء اليه وطبع على ثغرها قبلة حارة .

وبعد ان انفصلت الشفاه قالت المرأة وهي تلهث :

ـ انك تجيد التقبيل ياحبيبي .

ومدت يدها تداعب عنقه بينما راح هو يعصرها ويضمها اليه بقوة .

وعادت تقول بصوت خافت :

ـ انك تؤلمني .

ولكن النار المنبعثة من عينيها كانت تطالب بالمزيد .

وفقد الضابط سيطرته على اعصابه فانتزع ثياب المرأة التي بين ذراعيه وغرق معها في ثورة جنونية انتهت بارتمائهما منهوكين على

الاريكة .

وفجأة ارتفع صوت جاف يصيح :

ـ لا ، لا ، لا ! هذا سيىء ، سيىء جداً !

وانتصبت المرأة وعشيقها فجأة واصلحا ثيابهما . وكانت عيونها عالقة « بفراو ستولبه » .

والتفتت هذه الاخيرة بحنق الى الاثنتين وعشرين تلميذة اللواتي كن يشاهدن التمرين العملي لدرس « فن استخدام السحر » ، وقالت :

ـ يسمح لكنّ هذا المثل بملاحظة غلطتين خطيرتين .. انني اكرر لكن ان حياتكن في الميزان !

وتابعت وهي تلتفت الى المرأه الجالسة على الاريكة :

ـ انت يا « ن ـ ٢٦ » . لقد ارتكبت غلطتين ضخمتين . عندما امتلكك عشيقك لم تستطيعي اخفاء تكشيرة ضيق . ولكنك ما لبثت ان اندفعت معه واستسلمت تماماً الى اللذة . هذا غير مقبول !

وبعد ان اخذت نفساً عميقاً قالت :

ـ انك لا تجتذبين رجلاً الى فراشك فحسب ، بل تقومين بمهمة .

وتابت مشيرة الى الضابط :

ـ لقد قام زميلك بدور الضابط الاميركي خير قيام . فقد اظهر الارتباك والتردد في البداية ولكن غرائزه ما لبثت ان تغلبت عليه ، بعد ان تناول عدة كؤوس ، واظهر شهوته الجارفة

ولكنه استسلم بسرعة . وعندما يعود الى نفسه ويستعرض ما حدث سيدهش لتصرف امرأة رفيعة المقام كالمومس . وستكون النتيجة انه يهجرك الى الابد لانه يتأكد انك لم تستسلمي اليه بتأثير جاذبيته .

وقطع عليها حديثها دخول «فراو لندنبرغ» وشدت التلميذات قاماتهن تحية لها . وبعد ان ألقت نظرة على الفتيات قالت :

فراو ستولبه ، لدي ما اقوله لك .

وقرعت هذه الاخيرة كعبيها وقالت :

ـ أمرك يا سيدتي المديرة .

وخرجت المرأتان من الغرفة وسارتا في الرواق الرئيسي ونزلتا الى الطابق الارضي ثم خرجتا من الباب الخلفي للقصر .

واخيراً قالت لندنبرغ بصوت فيه رنة قلق :

ـ انني انتظر بعض المفتشين الروس . واخشى الا يعجبهم موت شينكل .

واجابت المدرسة :

ـ لا دخل لنا بهذا فلسنا مكلفين بمراقبة المنطقة التي تحيط بنا .

ـ طبعاً . ولكنني كنت ارجو ان اقدم لهم معلومات هامة عن ظروف الحادث ولكن تحقيقاتي لم تتقدم ابداً

واتجهت المرأتان ، وهما تتبادلان الحديث ، الى ميدان التدرب على اطلاق النار .

وهناك كان عدد من الفتيات يتدربن ، وكانت كل فتاة تخرج مسدسها بسرعة من حقيبتها وتطلقه على اهداف من الكرتون تمثل رجالاً . وكان الهدف يتمايل كلما اصيب

واراد الضابط الذي يشرف على التمرين ان يوقف العمل ولكن المديرة اشارت اليه بالاستمرار .

وعادت الفتيات الى اطلاق النار فيما كان صوت المدرب يرتفع بين الفينة والفينة بلغة ألمانية ركيكة :

ـ واحد ، اثنان ، ثلاثة .

١١

كانت الساعة الخامسة تماماً عندما اجتازت ثلاث سيارات سوداء كبيرة بوابة القصر .

ونزلت البعثة العسكرية السوفياتية ، المؤلفة من خمسة ضباط ، من السيارات واتجهت الى المدخل حيث وقفت فراولندنبرغ يحيط بها المعلمون والمعلمات .

وعلى رأس البعثة ، كان رجل يرتدي الثياب المدنية ، ولكن اسمه وحده كان كافياً لارهاب جميع رجال الشرطة ، انه دافيدرف ، المفوض السامي للاستعلامات في المانيا الشرقية .

وبعد ان توزع الضباط كل في الجهة التي يتعلق بها اختصاصه اتجهت فراو لندنبرغ والمفوض دافيدرف الى مكتب المديرة .

وما كاد الروسي يلقي بنفسه على احد المقاعد العريضة حتى قال :

ـ ان مقتل شينكل أمر مؤسف . وانني استنتج منه ان المدرسة تثير الانتباه .

وألقت عليه المديرة نظرة باردة ثم قالت :

www.rewity.com

– هذا استنتاج سابق لا وانه، صحيح ان شينكل كان بارعاً ولكن كان لديه اعداء كثيرون بين افراد الشعب .

– ان مقتله بحد ذاته لا يدهشني . ولكنني افكر بأن حادثين وقعا في كوبنيك ، في مدى ثلاثة اسابيع . وقد ادى الاول الى اعتقال جاسوس اجنبي وكلفنا الثاني احد جواسيسنا ، ولا اذكر ايضا الحادث الذي وقع لربيبتك هيلدا فيرن .

واجابته لندنبرغ بحدة :

– لقد قتلت هيلدا بحادث عفوي ، وانا واثقة بذلك . اما مقتل شينكل فهذه هي نتائج التحقيق .

وبعد ان روت له بالتفصيل الحالة التي عثر فيها على شينكل وما نتج عنه عن شجاره مع البحار الهولندي قال دافيدرف :

– إن آثار التعذيب الظاهرة على جثة شينكل تستبعد فكرة قتله انتقاما . لقد حاول قاتله ان يستجوبه وربما نجح في ذلك . اما شهادة برتا وهـــانز فليست كافية للتأكد من براءة البحار الهولندي .

– لدي شاهدة اخرى سأستجوبها امامك .

وضغطت فراو لندنبرغ على زر امامها وقالت في الهاتف الداخلي :

– ن ، ٢٦ ، الى مكتب المديرة .

والتفت الروسي الى المديرة فجأة يسألها :

– هل استجوبت الاسير ؟

– لا ، اتظن انه يعرف شيئاً ؟

– يجب ان نجرب .. على كل ، سنهتم به بعد قليل .

وهنا قرع الباب ودخلت الفتاة رقم ن – ٢٦ ، وهي التي دعت نفسها امام كوبلان« فريدا ». ووقفت فريدا امام مديرتها باحترام منتظرة ان تبدأها الحديث .

وسألتها فراو لندنبرغ :

– هل حصلت على المعلومات المطلوبة ؟

– نعم يا سيدتي المديرة

– قدمي تقريرك .

وروت فريدا بالتفصيل كيف اغرت البحار فرانز هايديما وكيف اخذت تستجوبه بصورة غير مباشرة . واكدت انها رافقته حتى مركبه . وختمت قائلة :

– يبدو ، دون ادنى شك ، ان هذا البحار لا يمثل دوره . ان يديه خشنتان وثيابه العتيقة على قياسه ، وهو يتكلم الهولندية بطلاقة . كما انه يعمل فعلا في مركب هولندي . ولم استطع في الليل التأكد من اسم المركب ولكنه قال لي انـــه يدعى « ايما الثاني » ، وقد تبادل البحار بضع كلمات مع القبطان لابلاغه انه لن يعود لينام في المركب .

– ولكن هل عاد فعلا الى المركب ليلة الجريمة ؟

– لا استطيع ان اؤكد ذلك ولكن طريقته في التعليق على الشجار تدل على انه لا يعلق اهمية كبيرة على الحادث . ولا يبدو عليه انه يدرك ان الشرطة قد تشتبه به . ثم انه رغم تأثير اغرائي فيه ، لم يتجرأ على اهمال ابلاغ رئيسه . وكان يبدو انه ليس من

عادته ان يقضي الليل خارج المركب .

– هل التقطت بصمات اصابعه ؟

واخرجت فريدا من جيبها منديلا ملفوفاً وفتحته فاذا بـه حلية مزيفة . وقالت وهي تضعها على المكتب :

– لقد عبث بها . ولا شك بان بصمات اصابعه عليها .

وبعد ان استشارت فراو لندنبرغ المفوض الروسي بنظرتها التفتت الى فريدا واذنت لها بالانصراف .

واحتفظ الاثنان بالصمت برهة ثم انتصب الروسي واقفـاً وقال :

– هيا بنا نتابع التحقيق مع اسيرنا .

١٢

بعد خمس دقائق ، كان دافيدرف وفراو لندنبرغ في احدى الغرف الواقعة تحت الارض .

ولم تمض لحظات حتى جيء بغونتران ممدداً على طاولة حديدية والقيد في يديه ورجليه .

واقترب دافيدرف منه وقال له :

– ان ما مر بك من عذاب لايذكر امام ما ستلقاه الآن اذا رفضت ان تجيب على اسئلتي .

ونظر غونتران اليه باستخفاف ثم التفت الى لندنبرغ وسألها :

– كيف حالك ياحسنائي ؟ هل جئت تتمعين بجمال غونتران الفائز ؟ ام انك وجدت ان تلميذاتك عجزن عن التأثير بي فجئت تحاولين تجديد شبابك على حسابي ؟

وصرفت لندنبرغ باسنانهـا غيظاً . ولولا وجود دافيدرف لهجمت عليه ومزقت وجهه باظافرها .

وعاد المفوض الروسي الى الكلام فقال :

– سألقي عليك اسئلتي مرة واحـدة واذا لم تجب ستتذوق

www.ebtty.com

فن لوبونوف ، الاختصاصي بوسائل التعذيب الحديثة بما لا يمكن لبالك ان يتصوره .

وصمت برهة ليترك لغونتران مجال التفكير بتهديـــده ثم سأله :

ـ هل سرق منك شينكل شيئاً ؟

ولما لم يجب غونتران تابع دافيدرف القاء اسئلته فقال :

ـ هل استطعت الاتصال باحد من زملائك قبل اعتقالك ؟

وقفز قلب غونتران في صدره ولكنه استطاع كتم انفعاله .

ترى هل جاء احد من زملائه الى كوبنيك ؟

ولم يدع الروسي له مجال الاستمرار في الاستنتاج فقال له :

ـ لقد قتل شينكل في ظروف غامضة . ولهذا اسألك ثانية :

هل استطعت الاتصال باحد من زملائك قبل اعتقالك ، وهل سرق منك شينكل شيئاً ؟

واسترخت اعصاب غونتران وغمرتـــه سعادة كادت تدفع الدموع الى عينيه . فقد تأكد ان احد زملائه اصبح في الميدان وانه استدل على شينكل من المعطف والوشاح اللذين اخذهمـــا الالماني منه .

وانحنى الروسي فوق غونتران وسأله بقسوة :

ـ أليس لديك ما تقوله ؟

ونظر اليه الفرنسي وتمنى لو أستطاع ان يحطم رأسه . ولكنه لم يستطع ان يفعل سوى الابتسام بسخرية .

وابتعد دافيدرف بغضب عن الطاولة واشار الى لوبونوف

بالتقدم ..

واقترب هذا من السجين فرفع يده واخذ ينـتزع الضمادات المحيطة باصابعه . وظهرت الاصابع تحتها مهترئة اللحم ولم يعد فيها اي اثر للاظافر .

وعاد الدم ينزف من الجراح .

واقترب دافيدرف من غونتران وراح يتأمل هذا المشهد .

وتقدمت فراولندنبرغ من الفرنسي ايضـــاً وراحت تتمتع بمشهده وهو ينتفض من الآلام التي يسببها له لوبونوف والذي استمر في فتح جراح الاصابع القديمة .

وقال الروسي :

ـ اذا كان لديك ما تقوله فهذا هو الاوان والا فاتت الفرصة.

ولكن غونتران ظل مغمضاً عينيه .

وعاد الروسي يسأله :

ـ اليس لديك ما تقوله ؟

وفتح غونتران عينيه ونظر الى الروسي الجاثم فوقه وارتسمت على شفتيه ابتسامة تعبة وهتف :

ـ لتذهب الى الجحيم !

وفيما كان تعذيب غونتران مستمراً كانت برتا المسكينة عائدة الى القصر مثقلة القلب . فقد هزأ بها البحـار الهولندي ولم يحضر حسب الموعد . ورغم انها انتظرت حتى آخر لحظة ، قبل ان يحين

موعد عودتها الى القصر ، املاً بأن يأتي ، الا انها اضطرت للاقتناع اخيراً بانه خدعها .

وعندما وصلت الى القصر كانت تجري عملية تغيير الحراس ، كما يحدث عند منتصف كل ليلة ...

١٣

في الساعة الحادية عشرة والنصف تماماً خرج كوبلان من مخبأه .

وما لبث ان وصل الى ضفة البحيره .

وبعد ان استراح ربع ساعة اخذ يراقب المنطقة .

كان واثقا الآن بانه اذا نجح في مغامرته هذه فستصبح احدى المغامرات الشهيرة في تاريخ التجسس . ولكن ليس الآن ، بل بعد عشر او خمس عشرة سنة . اذ ان نجاحه يكمن في جهل المعنيين بالامر انه قام بهذا العمل .

وقد اوصلته استنتاجاته الى ان هذا القصر يضم ولا شك فتيات يتم تدريبهن على استخدام فتنتهن للحصول على معلومات من الرجال الذين يحتلون مراكز رئيسية .

وسينتشرن في كل مكان ويقمن بجميع المهن ويترددن على جميع الاوساط .

وكان اول ما انتاب كوبلان ، عندما وصل باستنتاجاته الى هذا الحد ، شعور بالعجز . فحتى لو نسف قصر فوجلسفالد من اساسه ، فلا شك بأن هناك معاهد اخرى ستستمر في العمل بعده .

WWW.RWITY.COM

ولكن ماذا لو استطاع سرقة الدروس وطرق التدريب ؟ فعند ذاك يمكن اعداد دروس مضادة لتدريب الرجال الذين يستهدفون لهؤلاء الجاسوسات، فيسهل تمييزهن واحباط مساعيهن.

وكان هذا يعني ان على كوبلان ان يدخل القصر ويسرق الدروس ويختفي دون ان يترك اثراً . كما كان عليه ايضا ان ينقذ غونتران اذا استطاع ذلك .

وخلع كوبلان ثيابه ووضعها في كيس النايلون الذي ضمنه ادوات العمل. وعندما اصبح عارياً تماما نزل الى البحيرة واخذ يسبح في الماء البارد .

وقد حسب كوبلان ، قبل نزوله الى الماء ، حساب وجود أشعة خفية للانذار مسلطة على البحيرة فأخذ يسبح تحت الماء ولا يرفع رأسه بين فترة واخرى الا ليأخذ نفسا عميقا .

وفي الساعة الثانية عشرة الا ثلاث دقائق خرج كوبلان من الماء عند الضفة الاخرى . وفي هذا الموعد يجري تغيير الحرس وقد اعد كوبلان خطته على اساس ان واجهة القصر الخلفية ستكون دون حراسة مدة دقيقتين او ثلاث دقائق .

وظل كوبلان مستلقيا على صدره وهو يصغي الى اصوات الحراس يتنادون للرحيل .

وبسرعة غريبة ارتدى سروالاً وقميصاً فوق جسمه المبلل وقفز راكضا الى جدار القصر .

ثم اخذ يقترب من المدخل الرئيسي وهو ملتصق بالجدار وعلى بعد عشرين متراً من المدخل جمد مكانه وهو يرجو ان تكون

برتا قد انتظرته حتى أقصى ما يسمح لها به الوقت في حانة «غرونو كيار» اذ ان خطته كانت قائمة على مساعدة الطاهية الحسناء العفوية .

ومرت الثواني ببطء . وكانت الريح تعبث برؤوس الاشجار.

وفجأة سمع كوبلان وقع اقدام وصوتاً . ومرت به برتا وأحد الحراس .

واقترب هذا الاخير من المدخل ، على بعد خطوات من كوبلان ، ومد يده بين الاعشاب النامية على الجدار وأخرجها وفيها مفتاح نحاس . وبهذا المفتاح فتح الحارس صندوقاً معدنياً مخبأ عند اسفل الجدار . ثم خفض الذراع الموجودة بداخله ، والتي تقطع وتصل جهاز الانذار الخارجي .

وبعد ذلك فتح الحارس الباب واغلقه بعد دخول برتا ثم عاد الى الصندوق فرفع الذراع واقفل الصندوق واعاد المفتاح الى مكانه وابتعد .

وعدّ كوبلان ثلاثين ثانية ثم انفصل عن الجدار وذهب الى حيث كان الحارس قبل لحظات .

وهناك اخرج المفتاح وقطع تيار الانذار واحتفظ بالمفتاح حتى يضمن ان جهاز الانذار لن يرسل اشارة عند خروجه .

واسرع الى الباب ففتحه بواسطة احدى الادوات التي يحملها ودخل ثم اغلق الباب وراءه .

كان الظلام حالكاً ، فأخرج كوبلان مصباحه الكهربائي وارسل خيطا رفيعا ازرق من النور .

وجال خيط النور في القاعة حتى وصل الى الدرج العريض

المؤدي الى الطابق الاول ولكن كوبلان استبعد فكرة الصعود لأن مكتب الادارة موجود ، ولا شك ، في قلب القصر ، اي في الطابق الارضي .

واتجه كوبلان الى اليمين وسار في الرواق الطويل الذي اعترضه . وما كاد يجتاز بضع خطوات حتى وجد بابا الى يمينه .

ولم يكن على الباب اية بطاقة تشير الى مركز الغرفة ، وهذا طبيعي .

وكانت محاولة ادارة أكرة الباب كمحاولة الضغط على قنبلة ذرية . لانه ، اذا كانت الغرفة تحوي اسراراً فلا شك بان الباب مزود باجهزة انذار خفية .

واخرج كوبلان قطعة زجاج من الكيس وراح يمر بها امام الباب . وفجأة ، وعلى ارتفاع خمسين سنتمترا من الارض ، لمعت قطعة الزجاج فتأكد عندئذ من ان الاشعة مسلطة على الباب . ولو اعترضها اي جسم لانطلقت اجهزة الانذار ..

واخذ كوبلان يتابع الشعاع حتى اكتشف الخليتين المرسلة واللاقطة للاشعة .

وهناك طريقتان لعدم قطع خط النور : الاول بالامتناع عن قطعه بجسم شفاف والثاني بابدال الاشعة المرسلة باشعة اخرى توجه رأساً الى الخلية اللاقطة حتى لا ينقطع النور وتنطلق اجهزة الانذار .

وقرر كوبلان استخدام الطريقة الثانية . فركز مصباحه الكهربائي على الارض ووجه نوره الى الخلية اللاقطة . واخرج مصباحاً آخر وركزه كالاول ، وسلط نوره على الخلية المرسلة .

وعندما انتهى كان العرق يتصبب من وجهه . بقي عليه الآن ان يفتح الباب . وعند ذاك سيعرف اذا كان قد نجح في عزل خطر جهاز الانذار أم لا

وبعد ان تأكد من عدم وجود اي شريط كهربائي في الباب اخذ يعالج القفل .

ومضت خمس دقائق

واخيراً انفتح الباب ودخل كوبلان الغرفة وهو يشدّ على اسنانه . ولكن لم يحدث شيء ولم ينطلق اي جرس انذار .

واسرع كوبلان يفتش الغرفة . وكانت هناك خزانة ففتحها وراح يخرج ملفات فيفحصها على النور المتسرب من النافذة ويعيدها الى مكانها . ووجد اشرطة تسجيل ولكن لم يكن لديه الوقت الكافي للاستماع اليها . ولمح ملفاً كتبت عليه كلمة «شينكل» فاخرجه واخذ يقلب الاوراق فيه . وهكذا عرف ان البحار الهولندي فرانز هايدينا هو المشتبه به رقم واحد ، في الوقت الحاضر .

واقترب من النافذة وتابع القراءة . وقفز قلبه بين ضلوعه ، فقد قرأ اسم غونتران وتحته بضعة أسطر تدل على انه حي وموجود في القصر .

واعاد الملف الى مكانه ثم اتجه الى خزانة ضيقة عالية . وعندما فتحها وجد فيها كدسات من الاوراق المطبوعة على الآلة الكاتبة وكان يوشك ان يغلق الخزانة لولا ان خطر له التحقق من مضمون هذه الاوراق .

واندفع الدم في عروقه عندما قرأ عنوانا في رأس الصفحة : «استغلال النجاح» . فقد كانت هذه هي دروس المعهد .

وأسرع كوبلان يلتقط من كل كدسة ورقة مجتهداً الا يخل بتناسق ترتيبها . ثم حشر الاوراق كلها من عنق قميصه وانزلها حتى حزامه .

وخرج من الغرفة واجتاز منطقة الخطر ثم استعاد مصباحيه . وبعد ان وضع مسدسه في جيب مرواله اتجه الى الباب الخارجي . ولكنه جمد مكانه . فقد تذكر غونتران السجين في القصر .

وقف كوبلان مكانه واخذ يفكر بسرعة . ان واجبه يقضي عليه ان يهرب ليوصل الوثائق الى رئيسه ، هذه الوثائق التي اصبحت تعد اثمن من حياة زميله . ولكنه كان واثقا بأنه لو فعل ذلك لاحتقر نفسه طوال حياته

ثم خطرت له فكرة : لو اكتشف الروس ان احداً دخل القصر سراً فمن المستحسن ان يظنوا انه دخل لاجل غونتران وليس لاجل الوثائق .

وقرر البحث عن زميله . ولكن اين ؟

واخذ يفكر ان زنزانات السجن موجودة دائما تحت الارض . وهذه عادة درجت عليها البشرية من عصور بعيدة .

اذن الى الاقبية ..!

١٤

دار كوبلان حول الدرج العريض وسار في رواق آخر لمح في آخره سلماً حلزونياً يقود الى الاسفل .

وفيما كان يقترب منه سمع سعالاً . فأدرك انه الحارس .

واخذ فرنسيس ينزل الدرج . وكلما هبط كان النور يزداد قوة . وعند دورة السلم الحلزوني الاخيرة جمد مكانه ، فقد ارتسم على الجدار المقابل له ظل رجل يرتدي بزة رسمية .

لم يكن امام كوبلان سوى حل واحد هو قتل الحارس . فامسك بكيس النايلون وقذفه الى آخر الرواق ، فاستدار الحارس الى جهة الصوت . ولكن قبل ان يخطر له ان هناك من رمى الكيس ، احس بجسم ثقيل يسقط فوقه وبيدين فولاذيتين تحيطان بعنقه .

وظل كوبلان يضغط بقوة حتى شعر بارتخاء جسم الحارس فمدده ببطء على الارض .

فتشه فرنسيس حتى عثر على المفاتيح . فنهض واخذ يركض من زنزانة الى اخرى يتطلع من الكوة الى داخلها . وكانت الزنزانة

الثالثة هي التي يبحث عنها .

لم ينتبه غونتران ، المستغرق في النوم ، لضجة العراك ولكنه ما لبث ان انتصب جالسا عندما سمع صوت المفتاح يدور في القفل وكاد يصيح عندما فتح الباب ، ولكن كوبلان هتف به :

– لا تتحرك يا صديقي .

وجمد غونتران وراح يحدق بجنون في زميله .

وادرك كوبلان ان المسكين اصيب بصدمة عصبية فتابع قائلا بصوت هادىء :

– استيقظ ... لقد جئت لامضي بك . واذا ساعدتني تخلصنا من متاعبنا بسرعة .

وتقلص وجه غونتران وانفجر باكيا .

وفوجىء كوبلان بتصرف زميله . ولكنه لما رأى اصابعه الدامية شعر بقلبه ينقبض .

تقدم من زميله واخذه بين ذراعيه وضمه اليه ، كان الغضب يكاد يخنقه . واقسم ان ينقذ رفيقه ولو اضطر الى حمله على ظهره .

واسرع كوبلان فجر الحارس الى داخل الزنزانة ونزع عنه ثيابه وألبسها لغونتران ووضع الحارس على السرير والقى عليه حراما ثم خرج الاثنان ، واقفلا الزنزانة .

والقى كوبلان من كوتها المفتاح الى الداخل ليزيد في تعقيد الامور .

وبعد ذلك لف ذراعه حول خصر زميله وراح يساعده في السير .

خرج الاثنان من القصر دون حادث . وبعد ان أعاد كوبلان

رفع الذراع التي توصل تيار اجهزة الانذار انطلق مع زميله بين الاشجار في اتجاه البحيرة .

وفي اللحظة التي حاول فيها كوبلان اجتياز المسافة بين جدار القصر وضفة البحيرة ارتفع صوت صائحا :

– من هناك ؟

ودون اي تفكير انحنى كوبلان على الارض كأنه يتفحصها واجاب بالالمانية :

– تعال انظر ... هذا شيء جديد .

واقترب الحارس . وعندما اصبح على بعد مترين دهش لانه وجد محدثه لا يرتدي البزة الرسمية ، ولكنه لم يشعر الا بكوبلان يقفز عليه ويحيط عنقه بعشرة اصابع راحت تعصره .

وبرزت عينا الحارس من محجريهما وازرق وجهه وما لبث ان فارق الحياة .

وارخى كوبلان يديه وهو يلهث . لقد جعل اعداءه يسددون اول دفعة في « فاتورة » غونتران .

ثم جر الحارس الى ضفة البحيرة واستولى على مسدسه ثم خلع ثيابه ووضعها في الكيس ونزل الى الماء يتبعه غونتران . ولما كان هذا الاخير لا يستطيع السباحة بسبب يديه فقد راح كوبلان يجره وراءه وهو يحذره ان يرفع رأسه كثيراً فوق الماء كيلا يقطع خط شعاع الانذار المار فوق البحيرة .

ووصل الاثنان الى الضفة . وفيما كان كوبلان يرتدي ثيابه دق جرس كنيسة كوبنيك معلناً الساعة الواحدة .

وكان كوبلان يظن ان الفجر يكاد يبزغ .

وبعد ان اخفى فرنسيس الوثائق تحت ثيابه دعا زميله الى السير ولكنهما لم يكادا يسيران مائتي متر حتى وقع غونتران على ركبتيه وهو يئن .

وجثا كوبلان قربه مستفسراً فسمعه يقول وهو يلهث :

ـ لم اعد استطيع التحمل . دعني وتابع طريقك وحدك ..

واجابه فرنسيس وهو يرتجف برداً :

ـ استرح لحظة .

وفجأة انطلقت في الليل الهادىء، عويل صفارة انذار قوية مصدرها القصر .

لاشك بانهم عثروا على الحارس القتيل .

١٥

كان اليأس بادياً على غونتران. انه يشعر بضعفه ويرى ان من واجبه الا يورّط زميله في الخطر .

ومد يده الى كوبلان وقال :

ـ اعطني مسدسك واتركني هنا . ساقتل عدداً منهم بينما تستطيع الهرب . ولن يخطر ببالهم ان لك دخلا بالأمر .

ولكن فرنسيس اجاب :

ـ هراء .. انهم يشتبهون باني قتلت شينكل رغم انهم لا يملكون ادلة كافية . على كل لن نستسلم لهم هيا بنا .

وفضل غونتران الامتناع عن مناقشة زميله خاصة بعد ان رآه يحقق سلسلة من المعجزات .

وسار الاثنان ببطء . ووصلا الى المنازل الاولى في كوبنيك في اللحظة التي كانت فيها فراو لندنبرغ تتصل ببرلين .

وبعد ان اجتازا عددا من البنايات المتهدمة توقف كوبلان امام منزل متداع وقال :

ـ وصلنا .

www.rewity.com

ونظر غونتران اليه متسائلاً وقال :

– وصلنا ؟

– اجل . سنختبىء هنا . وهذا المكان اضمن مخبأ لنا . انه منزل شينكل . ولن يخطر لاحد ابداً ان يبحث عنا هنا.

ودخل الفرنسيان المنزل . وما كادا يلجان غرفة شينكل حتى انهارت قوى غونتران فترنح وسقط .

وحمله كوبلان ومدده برفق على فراش الالماني . ثم انتزع الغطاء واخذ يصنع منه ضمادات لف بها اصابع رفيقه.

وبعد ان اطمأن الى اغلاق الباب تمدد الى جانب غونتران واستغرق في نوم لا يعرفه الا منهوكي القوى .

ولو كان كوبلان يعلم بنتائج انقاذه رفيقه والنشاط الذي راح الروس ، وعلى رأسهم دافيدرف ولندنبرغ ، يبذلونه للعثور عليهما والتدابير التي كان يفكران باتخاذها، لما سمح لنفسه بالنوم ولحاول، بجميع الوسائل ، الانتقال فوراً الى القطاع الغربي من برلين .

في تلك اللحظة ، كان دافيدرف جالساً الى مكتب لندنبرغ وقد انحنى فوق صور بصمات اصابع يقارن بينها وبين صورة بصمات اخرى حملها بيده اليسرى .

واخيراً رفع رأسه وقد كست القسوة وجهه وقال :

– انها بصمات اصابع البحار . فهو الذي دخل القصر وهو الذي عبث بصندوق جهاز الانذار . والبصمات التي خلفها هناك تنطبق تماما على بصماته التي التقطناها من على حلية فريدا .

وبعد ان صمت لحظة قال وهو ينهض :

– هيا بنا الى جهاز الارسال يجب ان انقل اوصافه الى موسكو .

١٦

قفز كوبلان مذعوراً من نومه على صوت صفارة انذار والتقط مسدسه بسرعة . ولكنه ما لبث ان ادرك انها صفارة احد المصانع القريبة .

وانحنى فوق غونتران فوجده غارقاً في سبات عميق . ولما كان لا يستطيع العودة الى النوم فقد اخذ يتنقل في البناء .

وقادته قدماه الى السطح فوجده خربا وقد تكدست في احد جوانبه احجار لاشك بانها سقطت من احد الابنية المجاورة اثناء غارة من غارات الحرب .

وفجأة سمع وقع اقدام . واطل برأسه فرأى اربعة جنود روسيين وضابطاً يقتربون من المنزل .

واسرع فرنسيس يركض الى الغرفة . ولكنه ما كاد يدخل حتى جمد مكانه . فقد كان غونتران واقفاً في وسط الغرفة وهو يمسك بالمسدس يصوبه اليه .

وهتف به كوبلان مطمئناً فاجابه الآخر وهو يرخي ذراعه:

– ظننت انك رحلت وان الداخل رجل آخر .

ـ هيا بنا ، ان الروس قادمون .

والتقط كوبلان المسدس وكيس النايلون واسرع الى السطح يتبعه زميله .

وما كاد يستلقي ، هو ورفيقه ، وراء الاحجـــار حتى سمعا صوت تحطيم باب الغرفة .

وساد الصمت برهة . وبعد قليل عاد وقع اقدام الجنود يرتفع وهم يهبطون الدرج . وخرجوا الى الشارع حيث تبادلوا بضع كلمات بالروسية ثم انصرفوا .

وانتظر الفرنسيان بضع دقائق ثم عادا الى غرفتهما .

وما كادا يطمئنان الى سلامتهما حتى التفت غونـــتران الى فرنسيس وسأله :

ـ والآن ؟ ماذا ستفعل ؟

ـ لست ادري . ان القطاع الغربي من برلين يبعد عشرة كيلو مترات . ولكن هناك مئات من الرجال يبحثون عنا . وافضل ما نفعله هو انتظار الليل علنا نجد وسيلة للهرب .

وغرق غونتران بضع دقائق في تأملاته ثم رفع رأسه وقال :

ـ اصغ الي ياصديقي . مهما حدث لا تدعني اقع ثانيـــة بين ايديهم . فلن استطيع تحمل التعذيب مرة اخرى .

واجاب فرنسيس بصوت متفائل :

ـ لاتخش شيئاً . سوف ننجو .

ـ ربما . ولكنني اصر على امر :

اذا وجدنا اننا نوشك ان نقع بين ايديهم اطلق رصاصة على

رأسي . انك تعلم ان حالة اصابعي لاتسمح لي بضغط الزناد .

وشد كوبلان على اسنانه وقال له :

ـ ثق بي ، فلن يضعوا يدهم عليك ابداً .

وتابع قائلاً :

ـ عد الى النوم لانك ستحتاج الى قواك كاملة الليلة ، ولا تهتم بغير ذلك .

في الساعة الخامسة مساء تلقى قصر فوجلسفالد رسالة بالرموز من موسكو . وبعد لحظة كان دافيدرف يعمل على حلها وقد وقفت فراو لندنبرغ تراقبه بقلق .

وبعد دقائق رفع رأسه وتلا الرسالة :

« تنطبق البصمات على بصمات جاسوس عدو ما تزال هويته مجهولة . لسنا متأكدين من جنسيته . شخص خطر جداً لم تستطع دوائرنا الاشارة الى وجوده دائما الا بعد فوات الاوان . قام باعمال مدهشة .

وضرب بيده على الطاولة وصاح :

ـ ماذا يهمني كل هذا ؟ انها معلومات غير واضحة .

وتكلمت فراو لندنبرغ بهدوء فقالت :

ـ ان خطورة الهاربين تسمح لك باتخاذ تدابير شديدة .

ـ لقد جندت ألفي رجل للبحث عنهم . ماذا استطيع ان افعل اكثر من هذا ؟

واجابته لندنبرغ بصوت أجش :

– اصدر امراً بفرض الحصار على برلين !

وظل دافيدرف صامتاً بضع دقائق وهو يفكر . واخيراً رفع سماعة الهاتف وقال :

– سأتصل بحاكم برلين .

١٧

كان كوبلان بحاجة الى تغيير ثيابه . وكان بحاجة الى طعام لانه يحتاج ، لكي يستطيع الهرب ، الى ان يكون مالكاً قواه كلها وألا يلفت الانظار بثيابه الغريبة . .

ما كاد الظلام يهبط حتى ايقظ غونتران وقال له انه ذاهب في جولة استكشافية .

خرج فرنسيس من المنزل وسار في شوارع البلدة المعتمة . وتذكر انه لم يطلع غونتران على السبب الحقيقي لدخوله قصر فوجلسفالد . ولكنه وجد ان الافضل ان يمتنع عن اطلاعه عليه لان هذا الاخير كان سيصر ولا شك على ان يرحل كوبلان ليؤمن وصول الوثائق الثمينة ويتركه يحاول النجاة بوسائله الخاصة .

ثم تذكر برتا . وتساءل ، ترى ، ما زالت تتردد على حانة غرونو كيلر لانتظاره ؟ ولكنه انتبه الى ان آخر موعد بينهما كان قبل (٢٤) ساعة . وكان تتابع الحوادث المثيرة قد جعله يشعر

www.ibtesama.com

كأن اسبوعاً مر على هذا .

وصل كوبلان الى محطة القطار . ولكنه لم يدخلها اذ ان نظرة واحدة كانت كافية لان تجعله يلاحظ انتشار الجنود عند مدخلها .

وانعطف في شارع جانبي وعاد ادراجه .

من اين يحصل على الثياب اللازمة ؟ ان دخول احد المتاجر لشراء ما يلزمه سهل ولكنه يوازي دخوله قصر فوجلسفالد ثانية لان الرقابة الشديدة تشمل ولا شك جميع المتاجر .

ولما عجز عن العثور على حل قرر العودة . سينتظر بضع ساعات ثم يخرج مع غونتران لمحاولة الهرب .

ولكنه ما كاد يقترب من منزل شينكل حتى شعر بان هناك من يسير وراءه كأنه يتبعه . ولم يكن بامكانه الانتباه الى ذلك في منطقة المحطة لكثرة الناس الذين يجتازون الطريق . ولكن ، هنا في هذا الشارع شبه المهجور ، تأكد من ان هـذا الوقع الخفيف للخطى القصيرة وراءه ليس مجرد صدفة .

وتظاهر كوبلان بعدم الانتباه وتابع طريقه . ولكنه ما كاد يدخل المنزل حتى اسرع بالاختباء في الظلام وراء الباب الخارجي .

واقتربت الخطى ، دون ان تفقد شيئا من وقعها المنتظم . واخيراً رأى كوبلان صاحبها يجتاز الباب فلم يترك له مجالا للتقدم وقفز بسرعة ووجه الى فكه لكمة هائلة .

وترنح الداخل وقبل ان يقع أرضاً تلقاه فرنسيس بين ذراعيه . ولكنه كاد يفلت صيحة دهشة . فقد شعر ، بين يديه ، بجسم لدن

ونهدين كالصخر .. امرأة ؟

وتخلص كوبلان من آثار الدهشة فحمل المرأة المغمى عليها الى الغرفة ، حيث كان غونتران بانتظاره في الظلام ، ومـددها على الفراش .

واخرج مصباحا كهربائياً من كيس النايلون ووجه نوره الى وجهها . ولم يصدق عينيه . واقترب منها وتفحصها جيـداً . ولما تأكد من فكرته التفت الى غونتران باسماً وقال له :

– لنحاول ايقاظها .

وجاء بماء فرشه على وجه الغائبة عن الوعي واخذ يتأملها وهي تململ ثم تفتح عينيها . وفجأة تذكرت ما حدث لها فمدت يدها بسرعة الى جيبها ، بحثاً عن سلاح ولا شك ، ولكن كوبلان امسك بذراعها بقوة وقال لها بمرح :

– جيرتي نيجل ، لقد وقعت فلا تحاولي التخلص .

واتسعت حدقتا المرأة فزعاً وسألت هامسة :

– من انت ؟

وضحك كوبلان وحوّل النور الى وجهه وقال :

– أتذكرينني ؟

وتمعنت فيه جيرتي برهة ولكنها لم تصدق عينيها . وانتصبت جالسة على الفراش واعادت التحقيق فيه ثم قالت بلهجة آلية :

– فرنسيس كوبلان ، الصناعي المشهور في طهران وكبير هواة البترول !

ورفع كوبلان مصباحه ووجه نوره الى السقف حتى يضيء

الغرفة وقال:

– ان مهنتنا تفرض علينا أن نكون كل شيء يا جيرتي وانت ماذا تفعلين هنا ؟ هل هجرت دائرة التجسس البريطانية ام انك هنا في مهمة ؟

– انني في مهمة .

– بشأن قصر فوجلسفالد ؟

– انني إحدى تلميذاته !

– وماذا جئت تفعلين هنا ؟

– انني آتي كل يوم في مثل هذه الساعة منذ مقتل شينكل لاتحقق اذا كان هناك من يتردد على المنزل علنا نهتدي الى قاتله .

وهنا انتبهت الى وجود غونتران فهتفت بدهشة :

– اذن انت الذي دخلت القصر وانقذت السجين . اي انك انت هو البحار ؟

وابتسم كوبلان وقال :

– ما رأي فراو لندنبرغ ؟

– لقد اضاعت صوابها . ولكنكما في خطر. ان الجنود يملأون البلدة بحثا عنكما . وهم يفتشون جميع البيوت .

وصمتت لحظة ثم قالت :

– يحسن بي ان اذهب لاطمئنهم الى ان لا احد في منزل شينكل حتى لا يرسلوا اية دورية .

ووقفت امام كوبلان وقالت له بجد :

– لقد خدعتني في قضية البترول الايراني. ولكنني سأساعدك

الآن لاننا امام عدو مشترك . والى اللقاء في جولة اخرى .

وطبعت قبلة سريعة على شفتيه وخرجت .

وظل الفرنسيان دقيقة ، بعد انصرافها ، جامدين ثم التفت غونتران الى زميله وقد فتح فمه ليقول شيئا ولكن فرنسيس قاطعه ضاحكاً :

– لا ، لا تسألني عن مغامرة طهران . سأخبرك بها بعد وصولنا الى باريس . والآن عد الى النوم فستبدأ مغامرتنا بعد ساعات قليلة .

وكالولد المطيع ، ذهب غونتران الى الفراش وتمدد عليه ... ونام .

١٨

كان الظلام قد هبط منذ حوالي ثلاث ساعات عندما ايقظ كوبلان رفيقه وطلب منه ان يستعد .

ونهض غونتران فقام ببعض الحركات الرياضية ليعيد الدماء الى اطرافه المتجلدة وقال :

— انني مستعد .

ولكنه ما كاد يتم كلمته حتى انطلق ، من جهة الباب شعاع قوي شملهما معاً وارتفع صوت آمر يهتف :

— مكانكما ! لا تبديا اية حركة .

وجمد الفرنسيان مكانهما وقد رفعا ايديهما . ولكن المصباح الكهربائي ما لبث ان هبط وهمس الصوت :

— لا تخشيا شيئاً ... انني هانز !

وتحول النور فاضاء وجه صاحب حانة غرونوكيلر .

وتقدم هذا الاخير فوضع الحزمة التي يحملها على السرير والتفت الى كوبلان وهو يبتسم وقال :

— ان تصرفي يدهشك . ولكن لكل شيء ايضاحاً . انك

تظنني جاسوساً روسياً ، أليس كذلك ؟

— اجل .

— انك مخطىء .

— اذن ، لحساب من تعمل ؟

وجاء الرد المفاجىء :

— الانتليجنس سرفيس !

وقد لفظ هانز هاتين الكلمتين بلهجة انكليزية صافية .

ولم يترك للفرنسيين الوقت للتفكير فقال بسرعة :

— هذه ثياب جنود روس . وهذه اطعمة ومسدسات محشوة . اسرعا . بمحاولة الهرب فقد اعلن حصار برلين .

ولم يكن كوبلان ورفيقه يفيقان من تأثير دهشة الا ليقعا في غيرها .

ولكن فرنسيس سأله :

— كيف عرفت اننا هنا ؟

— لاني لو كنت مكانك لما وجدت مخبأ اميناً افضل من منزل الرجل الذي يتهمونني بقتله . ثم ان « جيرتي » اخبرتني بذلك .

— ولكن ماذا كنت تفعل في القطاع الغربي ، في مأتم هيلدا فيرون ؟

— نفس ما جئت تفعله انت . كنت اريد ان اكتشف الذين لهم علاقة بها .

— وكيف تمكنت من الوصول بهذه السرعة ؟

— انني لم اذهب الى هناك في اليوم ذاته ، بل قبل ذلك بثمانية ايام .

واتسعت حدقتا كوبلان وقال :

– أتعني انك انت الذي ...

وابتسم هانز بتواضع وقال :

– كانت هيلدا فيرن مجرمة حرب . وكان من واجبي ان انفذ الحكم فيها .

وارتفع ضحك الثلاثة .

واخيراً ودع الفرنسيان زميلهما الانكليزي وغادرا المنزل.

وعندما اقتربا من المحطة سأل غونتران صديقه بقلق :

– هل سنستقل القطار ؟

– نعم ولا .

ولم يدخلا المحطة بل سارا على الخطوط الحديدية الى ان وصلا الى مرأب الحافلات . وهناك وجدا حافلة خالية .

وبدا السرور على كوبلان فاسرع اليها وصعد الى مقصورة السائق.

وتذكر معلوماته في الهندسة الكهربائية فأخذ يتفحص جميع الازرار حتى ادرك فائدتها كلها. والتفت الى غونتران وعلى وجهه ابتسامة وقال :

– بقي علينا الآن ان ننتظر مرور اول قطار كهربائي.

ومرت ربع ساعة . واخيراً سمعا ضجة قطار قادم . وانتظر كوبلان حتى مر بجانب حافلتهما ،فضغط على الازرار بسرعة . وتحركت الحافلة ، وهي مطفأة الانوار ، وسارت على خطها الفرعي ثم انتقلت الى الخط الرئيسي وتبعت القطار حتى التصقت بمؤخرته .

١٩

توقف القطار في المحطة ونزل ركاب وصعد آخرون . وكانت حافلة كوبلان المظلمة تبدو كأنها علقت بالقطار لنقلها الى برلين حيث يجري تصليحها .

وقرع الجرس . واغلقت الابواب وتحرك القطار . وبذل كوبلان اقصى جهده حتى جعل حافلته تسير ملتصقة بمؤخرة القطار لئلا يشعر احد بانفصالها .

وانطلق القطار والحافلة في اتجاه برلين .

ومر الوقت بطيئاً متثاقلاً . وبعد مدة توقف القطار في محطة «سادوفا» . وعاد يتابع طريقه .

وتتابعت المحطات ، وفي كل منها يزداد توتر اعصاب الفرنسيين خوفاً من اكتشاف امرهما .

واخيراً اقترب القطار من وسط برلين .

والتفت كوبلان الى صديقه وقال :

– سنتوقف قبل الوصول الى المحطة بخمسمائة متر وستكون لدينا (١٥) ثانية فقط للقفز والهرب . استعد .

واوقف كوبلان الحافلة في وسط احد الانفاق فجأة وصاح :

ـ هيـــا !

وقفز الاثنان واخترقا النفق ركضاً وخرجا الى قلب المدينة.

وقال غونتران :

ـ اذا لم نستطع الهرب الليلة ، فانني اعرف مخبأ نلجأ اليه .

ولكن كوبلان اجاب :

ـ يجب ان نهرب الليلة لاننا لا نستطيع ان نتجول الى الابد هنا ، رغم تنكرنا بهذه الثياب العسكرية .

وكانا يتكلمان وهما يخترقان شوارع المدينة في طريقهما الى الجسر الموصل بين القطاعين الشرقي والغربي من المدينة .

وما كادا ينعطفان في شارع « اوتر » حتى جمدا مكانهما . فقد وجدا دبابة في وسط الشارع وقد جلس قائدها في البرج وعلى اذنيه سماعتا الهاتف اللاسلكي .

ولم يستطع كوبلان ان يمنع انعصار قلبه عند مشاهدته ، على بعد مائة متر تقريباً ، الشرطة العسكرية الاميركية .

وغادر شارع روتر وعاد الى ساحة « رودلف » ، وهو واثق بان غونتران يتبعه ، اذ انهما اتفقا على عدم السير معا .

وما لبث غونتران ان لحق بزميله وهو يلهث وقال له :

ـ تصور ان رجلاً وجه اليّ الكلام ليسألني عن احد العناوين ، فكدت اخرج يدي من جيبي واكشف ضماداتها .

وقبل ان يجيب كوبلان ملأ الجو انفجار مريع تبعته ضجة تحطم وصيحات هلع .

وهتف غونتران :

ـ يا الهي ، لقد اصطدم القطار التالي بحافلتنا .

والتفت ليركض الى مكان الحادث ولكن كوبلان تعلق به صائحـــاً :

ـ الى اين ؟ دع القطار وشأنه . هذه هي فرصتنا .

واخذ فرنسيس يركض باتجاه شارع روتر . وبعد لحظات وصل الى الدبابة فصاح بالسائق بالروسية وهو يتظاهر بالاضطراب والهلع :

ـ انه قطار عسكري . لقد اصطدم بقطار آخر . اذهبوا للمساعدة . سأذهب لابلاغ حراس جسر فرصوفيا .

ولم ينتظر جواب جنود الدبابة بل عاد ادراجه راكضا .

وبعد بضعة امتار اختبأ وراء احد المنازل واخـــذ يراقب الجنود وهم يغادرون الدبابة ويتركون حارسا . والتفت الى الجهة الثانية فرأى غونتران يتقدم من الدبابة .

واخرج فرنسيس مسدسه وعاد الى الدبابة واطلق رصاصة على الحارس فقتله ثم هتف بغونتران الذي اخذ يصعد الى الدبابة :

ـ عليك بالقيادة . سر ولا تقف مهما حدث .

وانزل كوبلان فوقه غطاء برج الدبابة فيما كان غونتران يديرها ويوجهها الى مدخل جسر فرصوفيا وينطلق بسرعة .

وفي هذه الاثنـــاء ، كان كوبلان يدير المدفع ويوجهه الى مركز الحراسة .

ولم يدهش جنود الحرس عند رؤيتهم احدى دباباتهم تتجه اليهم ولكنهم لما انتبهوا الى انها لا تخفف سرعتها ادركوا ان شخصاً

غريبا يقودها فاستلقوا فحملى الارض واخـذوا يطلقون رشاشاتهم عليها ويقذفونها بالقنابل اليدوية .

وكان جواب كوبلان زخة من مدفعه الرشاش .

وزاد غونتران من سرعة الدبابة . وانطلقت هذه فوق الجسر فسحقت التحصينات الروسية واتجهت الى القطاع الاميركي .

ودهش جنود الحراسة الاميركيون لرؤيتهم دبابـة روسية تتجه اليهم تلاحقها نيران الجنود الروس .

وصاح كوبلان :

ـ اخترق تحصينات الاميركيين ايضا ولا تتوقف الا عند منعطف ساحة « شليسفيغ » .

واخترقت الدبابة التحصينات المذكورة ووصلت الى المنعطف وتوقفت بعد ان تجاوزته .

واسرع الجنود الاميركيون وراء الدبابة فوجدوهـا واقفة وراء المنعطف . وفيما كانوا يستعدون لانذار ركابهـا رفع غطاء البرج وبرز رجل عادي الرأس وهو يلوح بمنديـــل ابيض وارتسمت ابتسامة واسعة على وجهه وهو يهتف بهم :

ـ لاتطلقوا النار ايها البلهاء . هـــذه قضية تتعلق بدائرة الجاسوسية الاميركية !

وكان هذا كذبا طبعا ..

وبعد ايام ، سلم كوبلان وثائق مدرسة الجاسوسات لرئيسه بينما أدخل غونتران المستشفى لمعالجة اصابعه ..